

لماذا علينا أن نحمي التنوع البيولوجي؟

أمال بوزغينة *

مقدمة :

كثيرة هي الفوارق القائمة ما بين الكوكب الأزرق وباقي كواكب المنظومة الشمسية، و لعل أبرزها على الإطلاق و التي لا يختلف عليها اثنان، سمة الحياة، أو ما يطلق عليه اصطلاحاً **التنوع البيولوجي**.

لقد انفرد كوكب الأرض بهذه الخاصية الفريدة من نوعها في الكون الفسيح منذ عصور جيولوجية بعيدة (إلى أن يثبت العكس على وجود الحياة في باقي الكون)، أي منذ 3,8 مليار سنة و لا يزال إلى غاية يومنا هذا قائم كثرات طبيعي للبشرية جمعاء **Patrimoine naturel** معترف به من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية و الثقافة و العلوم (UNESCO).

و بالرغم من هذه الميزات إلا أنه لم يسلم من أيادي التخريب و الإتلاف و التدمير لدوافع عدة، سواء تم ذلك بشكل إرادي أو بشكل غير مقصود، على غرار ما تتعرض له باقي مكونات الكوكب كالغلاف المائي **Hydrosphère** و الغلاف الجوي **Atmosphère** و الغلاف الترابي **Pédosphère** ... مما جعل من استنزاف **التنوع البيولوجي** و تدهور الأشكال الحياتية بالكوكب إحدى القضايا البيئية المعاصرة ذات الإهتمام العالمي، لما لها من انعكاسات وخيمة على المستوى البيئي و الاجتماعي و الإقتصادي وحتى السياسي على المديين القريب و البعيد، مما يستوجب حماية و صيانة طارئتين لها.

وعليه نتساءل :

- لما كل هذا الإهتمام المتزايد **بالتنوع البيولوجي**؟ وفيما تكمن أهميته بالنسبة للإنسان؟
- و لما أبواق الحماية تصيح من كل أصقاع العالم بتعجيل كبج و تيرة استنزافه؟
- وما هي التداعيات المباشرة و غير المباشرة في حالة ما إذا استنزف بمستويات عالية؟
- وما الذي يمكن فعله للحيلولة دون اختفاء و انقراض بعض أجزاء **التنوع البيولوجي**؟ وما الإجراءات العملية الواجب إتباعها على مستوى الأفراد و الجماعات و الحكومات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه مما تبقى لنا من **تنوع بيولوجي**، حتى يبقى الكوكب الأزرق فعلاً أزرق محافظ دوماً على سمة الحياة؟

قبل الإجابة على هذا السيل الجارف من التساؤلات، لا بد أن نتعرف أولاً على معنى **التنوع البيولوجي** ومدلول هذه اللفظة المركبة؟

تعرف اتفاقية **التنوع البيولوجي Convention Sur la Biodiversité** المبرمة خلال فعاليات « قمة الأرض ريو 1992 » مصطلح **التنوع البيولوجي** أو **التنوع الأحيائي** أو ما يسمى

* أستاذة علم البيئة معهد تقصراين

بالتنوع الحيوي Diversité biologique على أنه :

« تنوع الكائنات الحية من جميع المصادر بما فيها الأنظمة البيئية البرية و البحرية و أنظمة بيئية مائية أخرى و المركبات البيئية التي ينتمون إليها، و هذا يتضمن التنوع على مستوى الأنواع و ما بين الأنواع وكذا تنوع الأنظمة البيئية ». (وهو نفس التعريف الذي اعتمدته القانون الجزائري¹ رقم 03-10 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة).

على ضوء هذا التعريف يمكن القول أن **التنوع البيولوجي** يعني في أبسط تعاريفه تنوع الحياة . و يقصد به أيضا تنوع الكائنات الحية و بيئاتها، أي تنوع الأشكال الحياتية القائمة على الكوكب، انطلاقا من أصغر شكل لها وهو المورثات **Les gènes** الحاملة للصفات الوراثية للأحياء، مروراً بتنوع الأنواع النباتية و الحيوانية، وصولاً إلى أكبر و أعقد شكل حياتي ألا و هو الأنظمة البيئية كالصحاري، و الشّعاب المرجانية، و الغابات، و البحار، و المستنقعات ... وعليه، **التنوع البيولوجي** هو تنوع أشكال الحياة وفق مستويات متباينة ثلاث هي :

- التنوع الوراثي **Diversité génétique**
- التنوع النوعي **Diversité spécifique**
- التنوع النظامي **Diversité écosystémique**

فعلى مستوى التنوع النوعي (تنوع الأنواع) يقدر العلماء البيولوجيون و البيئيون عدد الأنواع بـ 5 إلى 30 مليون نوع²، عرف منها 1,7 مليون³ فقط ما بين نوع نباتي و حيواني و كائنات دنيا (الأركيات، البكتيريات، البروتيستا) .

فالحیوانات لوحدها تضم 1,320,000 نوع منها 70,000 نوع من الرخويات، 22.000 نوع من الأسماك و ما يقرب من 9.000 نوع من الطيور ... أما النباتات فعددها 270.000 نوعا . و يعيش هذا التنوع الهائل من الكائنات الحية في أوساط حيوية **Biotopes** و أنظمة بيئية **Ecosystèmes** هي الأخرى شديدة التباين و التنوع .

أما عن الجزائر⁴ فهي تضم 3.139 نوعا نباتيا برّيا طبيعيا، وإذا احتسبت الأنواع **Sous espèce** و الأصناف النباتية **Variétés** الزراعية و التزيينية فإن الرقم يرتفع إلى 5.402، منها 626 نوع طبي و 5.540 نوع علفي، و 130 نوع و تحت نوع غذائي ... أما الأنواع النباتية المائية فعددها حسب آخر الدراسات الميدانية 784 نوعا ...

ومن حيث الأنواع الحيوانية، فإن الطبيعة الجزائرية تضم حسب تقرير وزارة البيئة و تهيئة الإقليم لسنة 2003 حوالي 5,000 نوع حيواني، منها 108 نوع من الثدييات، 378 نوع من الطيور، 60 نوع من الزواحف، 12 نوع من البرمائيات، 164 نوع من الأسماك البحرية و 70 نوع من أسماك المياه العذبة، و 2000 نوع من الحشرات (و التوقعات تشير إلى وجود أكثر من هذا العدد، قد يصل إلى 10 أضعاف الرقم المعلن عنه) .

وعن الأنظمة البيئية الرئيسية التي تميز الجزائر، فهي ممثلة في الغابات المتوسطة التي تغطي

مساحة 3,9 مليون هكتار منها 2 مليون عبارة عن أحراش Maquis et Garrigues ، وفي النظام البيئي العشبي-الشجري المسمى الإستبس المتمركز على مستوى الهضاب العليا، وأخيرا النظام البيئي الصحراوي.

تضاف إلى هذه الأنماط الثلاثة الرئيسية، الأنظمة البيئية التي تشكلها المناطق الرطبة Zones humides المؤلفة من البحيرات والمستنقعات... و الأنظمة البيئية الساحلية الممتدة على 1200 كلم، و الأنظمة البيئية البحرية و الأنظمة البيئية الجبلية على اختلاف مواقعها الجغرافية، حيث يأوي كل نمط من هذه الأنماط النظميبيئية تنوعا نباتيا و حيوانيا مختلفا خاصا به.

في الختام نشير إلى أن موضوع التنوع البيولوجي ليس جديدا على ثقافتنا، لقد أشار إليه القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة في مواضع عدة منذ أزيد من 14 قرنا خلت، أي قبل ظهور علم البيئة و علمائها، وقبل استفحال مشكلة تآكل التنوع الحيوي -L'érosion de biodiversité- و قبل بروز الحركات الحمائية في العالم... وهذه الإشارات تضمنت بشكل أساسي التنوع النوعي و التنوع النظميبيئي :

● فمن بين الأنظمة البيئية المشار إليها البحار، و الجبال...

● أما النباتات فلقد ذكرت في صورتين، الأولى في صورة مجاميع نباتية (الزعر، الحب، الثمرات...)، و الثانية في صورة أنواع صرفة كالزيتون، و النخل، و العنب، و الرمان...

● ونفس الإشارات بالنسبة للحيوانات، لقد أشير إليها كمجموعات حيوانية رئيسة مثل الطير، و الأنعام، و السَّبُع... و كائنات منفصلة قائمة بذاتها كالنحل، و النمل، و الذباب، و الفيل، و الخيل، و القردة، و الهدهد، و الحوت...

ولعل الآية 45 من سورة النور تصف لنا بشكل جلي ليس فقط روعة خلق الخالق، وإنما روعة تلك الدقة في التصنيف الإلهي للحيوانات و روعة وصفه سبحانه وتعالى للتنوع البيولوجي، إذ يقول الحق تبارك و تعالى : «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

Références bibliographiques:

¹ Journal Officiel de la République Algérienne n° 43.20 Joumada el Oula 1424, 20 juillet 2003. P : 8.

² Tolba K. Mostafa, 1992- Sauvons notre planète. Défis et espoirs. Chapman & hall. Londres. P : 76.

³ Anonyme, 2000- La recherche n° 333. P : 43.

⁴ Ministère de l'Aménagement du Territoire et de l'Environnement; 2000- Rapport sur l'état et l'avenir de l'environnement. P : 40-42.